شرح

ديوان عبقر الفحل

بقلم

السيد أحمد صقر

مصدر بمقدمة : للدكتور زكى مبارك : فى تعريف الديوان

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م

حقوق الطبع محفوظة للشارح

يطلب من

المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الأزهر بمصر

المطبعة المحمودية بالقاهرة

تليفون — ٥٣٠٦٧

مصادر الكتاب

الأغانى . لأبى الفرج الاصبهانى
الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء . للمرزباني
عنوان المرقصات والمطربات . لابن سعيد المغربى
لسان العرب . لابن منظور
نخول الأدب . للأعلم
خزانه الأدب . للبغدادى
الحيوان . للجاحظ
شعراء النصرانيـــه . للقس لويس شيخو
معجم البلدان . للبكرى
شرح المفضليات . لابن الأنبـارى
العقد المريد . لابن عبد ربه
الشعر والشعراء . لابن قتيبه
طبقات الشعراء لابن سلام
رسالة الغفران . لأبى العلاء المعرى

مقدمة ديوان

بقلم الدكتور زكى مبارك

إى والله ! هذه مقدمة ديوان !

ولكن هل هذا ديوان ؟

نحن فى بلد الأحجام والمكاييل والموازين . والديوان فيه ديوان!

أما القصائد التى تعد أبياتها عداً فليست بديوان ، وليست خليقة بأن يهتم بها ناشر أو شارح ، وإن تكلف الغيرة على الأدب والبيان !

كذلك حدثت نفسى حين زارنى الأديب « السيد أحمد صقر» وطلب منى أن أكتب مقدمة لهذا الديوان .

فقد كنت طالباً فى الأزهر قبل أن يولد هذا الأديب ، وكان الأزهر لذلك العهد لا يعترف بالذاتية الأدبية ، ولا يشجع أحداً على رواية الشعر ، ولا يمر فيه البيت إلا باسم الاعراب !

وكنت وأنا طالب فى الأزهر أحفظ الشعر سراً وأنظمه سراً ، لأن نظم الشعر كان ينافى الأزهرية الصحيحة ، وكان الاهتمام به من سمات الغافلين عن حقائق المتون والشروح والحواشى والتقارير. !

لذلك طربت حين سئلت كتابة هذه المقدمة ، فقد تيقنت أن الأزهر رفع الرقابة عن النزعة الأدبية ، وبدأ يبتسم لمن يشرحون دواوين الأدب وهم طلاب.

ولأقيد أن شارح هذا الديوان طالب بالقسم الثانوى ولما يبلغ العشرين ، والعشرون ليست بالسن القليل، أو القليلة إن شئتم ، لكنها فى حى الأزهر أقل من القليل !

ولأقيد أيضا أن فى مقدور هذا الشاب أن يكون أديباً ، إن جرى على الفطرة ، وأطاع الطبع ، وفهم أن الأدب بحر عجاج وأن لا سبيل إلى الفوز إلا بالجد الموصول

ولأقيد أيضا أن دنيا الأزهر دنيا ضيقة الأرجاء ، ولا مفر للأديب من تنسم الهواء فى جو أنقى وأوسع .

فليتذكر ذلك أدباء الشباب فى الأزهر الشريف ، وليعرفوا أن فى مصر معاهد تعرف الأدب خيرا مما يعرفون ، وتدرس العربية خيرا مما يدرسون ، وتعرف فوق هذا وذاك أن فى الشرق والغرب علوما يجب أن تدرس ، وأن فى كل شىء مجالا للتأمل والدرس والاستقراء .

مالى ولهذا ؟ إنما أمهد لشرح ديوان « علقمة الفحل » فلنترك الأزهريين إلى المقادير ولنعد إلى الديوان

قلت إن هذا ديوان صغير ، فلأنص على أن العناية به تدل على فهم وذكاء . أليس علقمة قريع امرئ القيس ؟ فهو إذ من أعلام الشعراء الذين شغلوا الناس فى أيام الجاهلية ، وكان شعراء الجاهلية قدوة فى البيان

والأدب الجاهلى هو الأصل الأصيل للغة العربية ، والأديب

مسئول عن تعرف ذلك الأصل وإن بدا له غريب الوجه ، فى زمن قل فيه من يحفظ الأصول

فلاتستقلوا هذه القصائدو المقطوعات والأبيات ، فان الجوهر الجيد ليس فيه قليل

وتذكروا أن أسلافكم كانوا يتواصون بحفظ الذخائر الأدبية واللغوية ؛ والشعر الأصيل من أنفس الذخائر والأعلاق ، وإن عز عليكم فهمه فى بعض الأحيان .

إن كلية الآداب بالجامعة المصرية تفرض على طلبة اللغةالعربية التعرف إلى العبرية والسريانية ، فان فاتكم ذلك ياأهل الأزهر ، فلا يفتكم أن تتعرفوا إلى شعر علقمة وأمثاله من الذين كادوا يعاصرون لغة القرآن

قد تقولون : إن علقمة شغل نفسه بوصف الناقة فى أكثر القصائد ، وقد تعدون هذا من التوافه فى عالم البيان

فاعرفوا الآن أن وصف الناقة لم يكن من اللغو والفضول : فالناقه فى بلاد العرب حيوان جميل جدا



ومن « الجمل » جاء « الجمال » لوتعلمون

إن أهل مصر ينظرون إلى الجمل فلا يرون فيه جمالا . وفاتهم

ان الجمل فى بلادهم يأكل غير طعامه ، فيكبر بطنه من وفرة البرسيم والماء ، وتنمحى منه آيات الجمال ؛ والجمل فى مصر غريب لم يعرفه المصريون فى الزمن القديم ، ولكنه فى بلاد العرب حيوان جميل عرف البادية وعرفته منذ ألوف السنين . فان رابكم الاكثار من وصف الناقة فلا تلوموا الشاعر ، ولكن لوموا أنفسكم فأنتم الذين اكتفيتم بمرابض « القبلة القديمة » ولم تسيروا فى الأرض فتنظروا كيف أنعم الله على «الجِمال » بالجَمال

على أن أهلينا فى « سنتريس » لم يفتهم هذا المعنى ، وعهدى بهم يقولون فى وصف الفتاة الهيفاء : « صبية كالناقة » ولولا جمال الناقة ما شبهوا بها الخريدة العطبول .

ومعاذ الأدب أن نقول إن هذا خير ما عرف علقمة الفحل فنى ديوانه إشارات نفسية واجتماعية ، جديرة بأن تقربه من أذهان أهل العصر الحديث . أليس هو الذى يقول :

وقد يعقل القل الفتى دون همه وقد كان لولا القل طلاع أنجد

وله من أمثال هذه الحكمة أشياء كثيرة لا يزال يرحب بها الذوق ، يجدها القارىء فى ثنايا الديوان .

أما بعد : فانى أشكر لهذا الشاب عنايته بشرح هذا الديوان ونشره ، وأرجو أن يكون قدوة لأمثاله من طلبة الأزهر الشريف ... والسلام ؟

« زكى مبارك »